

الحكم السلبية في الشعر العباسي

أ.م.د. ثائر سمير حسن الشمري

جامعة بابل / كلية التربية الأساسية

الخلاصة :

لعلّ من اللافت للنظر، والمثير للجدل أن نطلق على بحثنا هذا تسمية (الحكم السلبية)، ولاسيما مع تحلّي شعر الحكمة بالموضوعات السامية، والأهداف النبيلة!

ولتوضيح ذلك أقول : إنني لم أصف هذه الحكم بالسلبية إلا بسبب اتصاف هذا الشعر بمفومات شعر الحكمة ، باستثناء الهدف الايجابي طبعاً، فالشعراء هنا يمارسون دور الحكيم في المجتمع ، ويحاولون مخاطبته بما يعتقدون بصحّته ، حسب رؤاهم الشخصية، منطلقين في ذلك من تجاربهم الذاتية، التي أرادوا تعميمها على الجميع ، غير أنّ حكمهم تلك كانت تنقص الهدف الايجابي ، إذ اتّصفت بالسلبية ؛ لأنها كانت هدامة بكلّ ما تحويه هذه الكلمة من معان ودلالات ، لذا أثرت تسميتها بالحكم السلبية لانطباق هذه الصفة عليها.

ولعلّ سبب غرابة التسمية ، انطلق أساساً من تركيز الباحثين على دراسة الحكمة التي تمتاز بالصفات الايجابية التي طرفها الشعراء، وقدّموها إلى الانسان على مختلف الحقب ، غير مراعين - في الأكثر - وجود الحكم التي تتمتع بالصفة المعاكسة، وأعني بها توشّحها بالصفات السلبية، ولذلك جاء هذا البحث ليسلط الضوء على الوجه الآخر من وجهي الحكمة، وليكون مفتاحاً يفتح أبواباً جديدة في الدراسات المقلّبة.

وفيما يخصّ مضمون الحكم السلبية في الشعر العباسي ، فان استقراء الشعر المعني بيّن لنا أنّ الدعوة لشرب الخمر - على شكل حكمة تؤثر في القارئ او السامع معاً - كانت المضمون الأساس في ذلك الشعر ، فضلاً عن التطرّق لأمر سلبية كثيرة أحر ، أبرزها الدعوة إلى التمتع بالنساء بما لايرضي الله سبحانه وتعالى ، والاستماع للأغاني، وممارسة اللهو عموماً ، والتمتع بأيام الشباب قبل انقضائها ، وما إلى ذلك من الحكم التي لايستلذّها إلاّ من كان في نفسه شيء ، بل أشياء من الدناءة ، وفساد الضمير ، وقلة الايمان ، وحبّ الدنيا وايثارها على الآخرة.

The Negative Judgements in Abbasid's Poetry

By

Assist. Prof. Dr. Tha'ir Sameer Hasan AL- Shimmary
Babylon University / College of Basic Education

Abstract

It is a controvercial aspect to call this research by " negative judgemen" especially by considering the moral and noble aspects of poetry.

To clarify this, the researcher called it as such because of the fact that this poetry has the qualities of widom. Thus , poets take the role of wise men in their society, trying to address it in what they believe is right relying on their private experiments.

It is clear that most researchers focus on positive aspects said by poets, patting (in most cases) no attention to the opposite.

As for the study of negative social aspects in Abbasids' poetry, it is found that the main aspect is to drink wine, in addition to many other things such as the enjoyment with women, hearing songs and other aspects in their life.

تعد الحكمة التي بثها الشعراء على مختلف العصور من أروع ما قيل في الشعر ، سواء أكان ذلك من ناحية الموضوع المطروح في ذلك الشعر ، أم من ناحية الهدف من ورائه ، ففيما يتعلق بموضوعات الحكمة، وجدنا أنها كانت تدور حول أمور وقضايا تفيد الانسانية حقاً ؛ لأنها تتضمن النصح والارشاد للمتلقين ، وهي بهذا ترمي إلى تحقيق أهداف نبيلة وإيجابية ، إذا ما أردنا الحديث عن أهداف شعر الحكمة. وربما يكون من اللافت للنظر ، والمثير للجدل أن نطلق على بحثنا هذا تسمية (الحكم السلبية)، ولاسيما مع تحلي شعر الحكمة بمثل تلك الموضوعات السامية، والأهداف النبيلة!

ولتوضيح ذلك أقول : إنني لم أصف هذه الحكم في الشعر العباسي بالسلبية ، إلا بسبب اتصاف هذا الشعر بمقومات شعر الحكمة كلها ، باستثناء الهدف الايجابي طبعاً ، فالشعراء هنا يمارسون دور الحكيم في المجتمع ، ويحاولون مخاطبة ذلك المجتمع بما يعتقدون أنه صحيح، حسب رؤاهم الشخصية ، منطلقين في ذلك من تجاربهم الذاتية، التي أرادوا تعميمها على الجميع، غير أنّ حكمهم تلك كانت تنقص الهدف الايجابي، إذ اتّصفت بالسلبية ؛ لأنها كانت هدامة بكل ما تحتويه هذه الكلمة من معانٍ ودلالات ، لذا آثرت تسميتها بالحكم السلبية لانطباق هذه الصفة عليها.

ولعلّ سبب غرابة التسمية، انطلق أساساً من تركيز الباحثين على دراسة الحكمة التي تمتاز بالصفات الايجابية التي طرفها الشعراء، وقدموها إلى الانسانية على مختلف الحقب ، غير مراعين - في الأكثر - وجود الحكم التي تتمتع بالصفة المعاكسة، وأعني بها توشحها بالصفات السلبية، ولذلك جاء هذا البحث ليسلط الضوء على الوجه الآخر من وجهي الحكمة ، وليكون مفتاحاً يفتح أبواباً جديدة في الدراسات المقبلة.

وتبيّن لنا من خلال جرد الشعر العباسي ، أنّ شعراء القرن الثالث الهجري كان لهم القِدح المعلى في التطرّق إلى الحكم السلبية في نتاجاتهم الشعرية ، ولعلّ السبب يبدو واضحاً اذا ما علمنا انتشار الحانات والأديرة، وكثرة المجون بسبب كثرة استيراد بضاعة الجوارى في ذلك الوقت، ولكن ذلك لا يحول دون وجود شعراء آخرين من القرون الأخرى في زمن الدولة العباسية، قد تطرّقوا إلى الموضوعات السلبية نفسها في قصائدهم ، غير أنهم لم يكونوا بتلك الكثرة التي شهدها القرن الثالث الهجري.

وفيما يخصّ مضمون الحكم السلبية في الشعر العباسي ، فان استقراء الشعر المعني بيّن لنا أنّ الدعوة لشرب الخمرة - على شكل حكمة تؤثر في القارئ والسامع معاً - كانت المضمون الاساس في ذلك الشعر، فضلاً عن التطرّق لأمر سلبية كثيرة أحر ، أبرزها الدعوة إلى التمتع بالنساء بما لا يُرضي الله سبحانه وتعالى ، والاستماع للأغاني، وممارسة اللهو عموماً ، والتمتع بأيام الشباب قبل انقضائها ،وما إلى ذلك من الحكم التي لا يستلذّها إلا مَنْ كان في نفسه شيءٌ ، بل أشياء من الدناءة ، وفساد الضمير، وقلة الايمان ، وحب الدنيا وايقارها على الآخرة.

وحاول الشعراء العباسيون بطرق مختلفة ، وأساليب متنوعة، اقناع الآخرين بصحة ما يرمون اليه، وما يدعون له من دعوات ، حاولوا فيها نشر الرذيلة في المجتمع، لذا نراهم يُجملون أفعالهم القبيحة بشرب الخمرة المحرمة تحريماً قاطعاً ، من خلال طرح مغريات عدّة لمنالقي قصائدهم التي طرحوا فيها هذه الرذيلة، فهذا ابراهيم بن العباس الصولي يقول داعياً لشرب الخمرة:

اشربِ الراحَ صحيحاً
واشربِ الراحَ وقيداً

[....]
ليس من عمرك يومٌ
لم تذق فيه نبيذاً^(١)

فهو يعدّ الأيام التي تمرّ على الانسان من دون شربه الخمرة من عمره ، وفي ذلك - قطعاً - دعوة اغرائية ، ربما تؤثر في الكثيرين ممن لم يتسلّحوا بثقافة الدين الاسلامي العظيم، وممن لم تعمر قلوبهم بالايمان الحقيقي.

ويدعو شاعر آخر إلى تجديد اللذات مع ظهور كل يوم جديد، وذلك عن طريق شرب الخمرة، وليس ذلك فحسب، وإنما يدعو إلى أن يفعل المرء كل ما يشتهي من الفواحش، من غير أن يحسب أي حساب للقيم المتعارفة:

جددِ اللذاتِ فاليومُ جديدٌ
وامض فيما تشتهي كيف تريدُ

واله إن أمكن يوم صالح
إن يوم الشرب - لا كان - عتيد^(٦)

أما ابن المعتز ، فإنه يعدّ شرب الخمرة من الأمور التي تدعو إلى الفرح في حياة الانسان ، فعلى الأخير أن يغتنم تلك اللحظات المفرحة ، لذا نراه ينصح بشربها في الصباح، لافي المساء وحسب، بل ويدعو إلى عدم ترك الكف للقدح ، وذلك في قوله:

غاد شرب الراح مُضطجحا
انما عُمرُ الفتى فرح
لاتدع من كفك القدحا
فاغتتم من عُمرِكَ الفرحا^(٧)

وربما تجدر الإشارة إلى أنه لاشأن لنا اذا ما كان الشعراء العباسيون قد طرحوا حكمهم السلبية هذه في شرب الخمرة بشكل جاد، أو على سبيل المزاح ومجارة واقع العصر، فما يعيننا هنا هو أنها حكمة سلبية تحاول التأثير في الآخرين ، سواء أكانت عن قصد، أم عن غير قصد.

إن فكرة الفرح أو السرور ، كانت كثيراً ما يتطرق إليها الشعراء العباسيون في قصائدهم التي بنّوا فيها حكمهم السلبية في الدعوة لشرب الخمرة، ومحاولة تجميل ذلك ، فهذا ابن المعتز نفسه يكرر الفكرة ذاتها، فيرى أنّ الدنيا ما هي إلا سرور ، وشرب للخمرة صباحاً ومساءً ، إذ يقول:

إتمما الدنيا سرور
والمزاح الجند إن
واغتباق واصطباح
فكزت والجند مزاح^(٨)

والفكرة عينها نجدها عند السري الرفاء، إذ يعدّ شرب الخمرة هي قطب ذلك السرور ، لذا فهو يدعو الآخرين إلى استثمار هذه الفرصة، والافادة منها قبل أن تذهب بانقضاء أيام اللهو ، يقول:

الكأس قطب السرور والأدب
فاحظ بها قبل حادث النوب^(٩)

وحاول كثير من الشعراء الترويج لشرب الخمرة ، من خلال كثرة الدعاية لها بمختلف الوسائل فاتبعوا في ذلك نشر طرق الاغراء فيما تفعله بالشارب من أمور جيدة حسب اعتقادهم ، يريدون من خلال ذلك الترويج التأثير في المجتمع تأثيراً سلبياً^(١٠).

وكأي مخطئ يحاول تسوية الخطأ الذي ارتكبه، نجد أن هؤلاء الشعراء يسوغون شربهم للخمرة بشتى الحجج الواهية، يرومون اقناع أنفسهم بها أولاً ، واقناع الآخرين ثانياً، فمنهم من يرى أن شرب الخمرة يشفي الأمراض ، كأبي دلامة الأسدي، الذي ينصح مريضاً بالاقبال على أكل اللحم وشرب الخمرة ، وترك ما يقوله الطبيب ، وذلك في قوله:

فاذا ما عطشت فاشرب ثلاثا
ثم عند المساء فاعكف على ذا
من عتيق في الشم كالتفاح
وعلى ذا بأعظم الأقداح^(١١)

ومنهم من ينصح بشربها ؛ لأنها دواء للهوموم ، وأبرز من صور ذلك ابن الرومي، الذي يطلب من الآخرين أن يشكون همومهم إلى الخمرة والأقداح ، فيشعرون بعدها بالنشوة، وهو لا يكتفي بذلك، وإنما يسعى إلى تأكيد مقالته هذه ، وذلك من خلال أن النصح الذي يقدمه كان من تجاربه الخاصة، قاصداً من وراء ذلك اثبات الصدق فيما يدّعيه ، في محاولة منه للتأثير في المتلقين ، وذلك في قوله:

خلّ الزمان إذا تقاعس أو نجح
واشكّ الهوموم إلى الغدامة والقدح
واحذر عليه أن يطير من الفرخ
واحفظ فؤادك إن شربت ثلاثة

هَذَا دَوَاءٌ لِلْهُمُومِ مُجَرَّبٌ

فَاسْمَعْ نَصِيحَةَ حَازِمٍ لَكَ قَدْ نَصَحَ^(٨)

ولم يكن ابن الرومي منفرداً في عدّه الخمرة دواءً للهموم ، فقد حدا حذوه عدد من الشعراء العباسيين الذين جاءوا بعده ، فمنهم على سبيل المثال ، ابن المعتز الذي يقول في مثل ذلك:

داوِ الهمومَ بقهوةٍ عذراءٍ
وامرُجْ بنارِ الراحِ نورَ الماءِ^(٩)

وكذلك فعل الثعالبي في قوله:
ومدامٍ قد كفانا

شغل إشعال المسارج

لو دنت منا القماري

لاكتست ريش التدارج

فاشربته فهو للغم

مة والغماء فارج

وهو ريق من فم الذن

يا إلى ثغرك خارج^(١٠)

ودعا الدعوة نفسها - أيضاً - أسامة بن منقذ، وذلك حين طلب من متلقيه أن يسلي همومه بكأس من

الخمرة ، في قوله:

ببنت كرم ، في الكاس تأتلق^(١١)

وسل عنك الهموم إن طرقت

وبذلك تبين لنا كيف أن الشعراء العباسيين بثوا في قصائدهم الحكم السلبية، التي كان مضمونها الدعوة لشرب الخمرة ، وكيف أنهم حاولوا اعطاء المسوغات لشربها، بما يضمن تأثيرهم في الآخرين، الأمر الذي يدعوهم في نهاية المطاف إلى السير خلفهم ، مقتدين بأرائهم وتصرفاتهم المشينة.

وكانت الدعوة إلى التمتع بالنساء ، بما لا يرضي الله سبحانه وتعالى ، ولا يرضي المجتمع، قد شكّلت المضمون الثاني من مضامين الحكم السلبية في شعر العباسيين، وأبرز من حمل لواء هذه الدعوة ، هو الشاعر بشار بن برد الذي قيل عنه : ((ورأس عيوبه الاباحة، فهو مغرم بالخروج عن قيود الفضيلة والتقاليد المرسومة، لا يريد لنفسه قيداً ولا وازعاً، ولا يراعي حرمةً لأحد ، ولا يعترف بمبدأ أو ضمير أودين، وهو منقلب لا يثبت على عهد ولا مذهب ، لا اكرثائي غير مبالٍ بأي شيء يفعل ما دام يُرضي نزواته وغرائزه))^(١٢) .

إن دعوة بشار هذه تأتي على شكل حكمة مصاغة بأسلوب رائع من الناحية الفنية، وذلك لضمان التأثير في الآخرين ، فهو يدعو الرجال إلى عدم اليأس من محاولة استدراج النساء إلى طريق الرذيلة ، لأن مصير النساء - حسب زعم الشاعر - هو الاصغاء لما يدعوهُنَّ اليه الرجال، ودليل الشاعر في ذلك ، هو أنّ الحصان الصعب يُمكن فارسه منه ، فيما لو أكثر ذلك الفارس من ترويضه، وذلك كله نجده في قوله:

والليل إن وراءه صُبحاً

قاس الهموم تثل بها نجحاً

قول تغلظه وإن جرحاً

لا يؤيسنك من مخدرة

والصعب يُمكن بعدما رمحاً^(١٣)

عسر النساء إلى مياسرة

وفي الوقت الذي يلجأ فيه بشار بن برد إلى أسلوب ضرب المثل، لتأكيد صدق ما يذهب اليه في نفوس المتلقين، نجد شاعراً آخر، وهو هارون بن علي المنجم يتبع أسلوباً مختلفاً في بث حكمته ، إذ يلجأ إلى ذلك عن طريق الكلام السلبي على النساء ، فيذهب إلى عدم صدقهنَّ مع الرجال ، فليس لهنَّ وعودٌ مؤكدة معهن ، فإذا ماشاب الرجل بدأن بخداعه والكذب عليه، ولذلك كله نراه يدعو الرجال إلى التمتع بهنَّ ، ماداموا في زمن الشباب، وكأنما تأخذ الدعوة لديه منحى انتقامياً من النساء، يقول:

ن إلى انصرام وانفضاب [كذا]

الغانيات عهدهنَّ

مَنْ شَابَ شَيْنَ لِهَ الْمَوْدِ
فَانَعَمْ بِهِنَّ وَزَنَدُ سِنَاكَ
مَادُمْتَ فِي وَرَقِ الصَّبَا
دَةَ بِالْخُدَيْعَةِ وَالْكَذَابِ
فِي الشَّبِيبَةِ غَيْرُ كَابِي
وَعَصُونِهِ الْخُضْرِ الرَّطَابِ^(١٤)

واتخذت الحكم السلبية لدى الشعراء العباسيين مضامين متنوعة ، ومختلفة ، فبعض الشعراء كانوا يدعون إلى التمتع بأدوات اللهو كلها من دون استثناء ، وحججهم في ذلك أنّ الدنيا فانية ، لذا ليس على الانسان إلا أن يستثمر ذلك اللهو ، ويتمتع به قبل انقضائه:

تَمْتَعْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ فَا نِ
وَلَا تَنْظِرَنَّ الْيَوْمَ لَهَا إِلَى غَدِ
وَإِنَّكَ فِي أَيَدِي الْحَوَادِثِ عَا نِ
وَمَنْ لِعُدِّ مِنْ حَادِثٍ بِأَمَانِ^(١٥)

وليست الحياة في نظر بعضهم إلا في الصحة والشباب وشرب الخمرة والتمتع بالنساء، ولا شيء غير هذه الأمور ، لذا ينصحون بالتمتع باللذات المذكورة قبل أن يعيقها عائق ما ، متأسين تقوى الله في الدنيا ، والفوز بالآخرة فيما لو ابتعدوا عن متع الدنيا الزائلة:

فَمَا الْعُمْرُ إِلَّا صِحَّةٌ وَشَبِيبَةٌ
وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يَغْتَرِرْ بِهَا
وَكَأْسٌ وَقَرْبٌ مِنْ حَبِيبٍ مُوَافِقِ
وَيَادِرُ بِاللَّذَاتِ قَبْلَ الْعَوَاقِقِ^(١٦)

ولاتكتمل عناصر اللذة لدى بعض الشعراء ، إلا باجتماع الخمرة والنساء معاً ، فهم لا يشعرون بالمتعة واللهو إلا بشرط الخمرة واقترانها بوجود النساء ، وذلك ما عبّر عنه الشاعر أحمد بن أبي طاهر طيفور بقوله:

أَتَمَّا الْعَيْشُ وَالْحَيَاةُ لِمَنْ أَصَدُّ
مَنْ شَرَابٍ كَأَتَمَّا نَاسِبِ الْبِرِّ
وَكَمَا أَنَّ الْكَاسَاتِ مِنْهُ خَلَاءٌ
رِقَّةٌ لَا تُثْرَى مَعَ الْكَاسِ إِلَّا
لَذْطِعْمًا وَطَابَ رِيحًا ، فَأَغْنَى
صَادِقَ الرُّوحِ وَالْحَيَاةِ ، فَقَدْ قَا
فَاصْطَبَحَ وَاعْتَبِقَ بوردية اللو

قَ صَفَاءً فِي اللَّوْنِ وَاللَّمْعَانِ
وَهُوَ مِنْهَا فِي مُثْرَعِ مَلَانِ
بَعْدَ وَهْمِ الظَّنُونِ عِنْدَ الْعِيَانِ
عَنْ جِنْيِ التَّقَاحِ وَالرَّيْحَانِ
مَ مَقَامَ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَبْدَانِ
نِ عَلَى الْوَرْدِ فِي خُدُودِ الْغَوَانِي^(١٧)

ويبالغ بعضهم أكثر من ذلك، فلا يرى اكتمال اللذات إلا بشرط الخمرة وسماع الأغاني ، وهتك الستور، وأبرز من صور ذلك هو الشاعر البحراني في قوله:

لَا تَكْمُلُ اللَّذَاتُ إِلَّا
هَتَاكَ السُّتُورِ ، وَإِنَّمَا أَلْ
فَاخْلَعْ عِذَارَكَ فِي الْهَوَى
بِالْقِيَانِ وَيَا الْخُمُورِ
لَذَاتُ فِي هَتَاكَ السُّتُورِ
وَإِدْفَعْ مُهْمَاتِ الدُّهُورِ^(١٨)

إن هذه الدعوات كلها كانت تصاغ بأسلوب مليء بالعبارات التوجيهية للمتلقين ، وأعني بذلك أن أصحابها كانوا يتبعون في صياغتها طريقة النصح والارشاد ، ولكن لا إلى سبيل الهداية ، بل إلى سبيل الضلالة ، ويعتقدون أن شفيعهم في سن تلك السنن السيئة، هو الشباب ، فقد أرادوا لأنفسهم ، وللاخرين التمتع بأيامه،

وبالتالي ممارسة كل ما يرغبون فيه من ملذات ، سواء المحرمة منها أو غير المحرمة، فهذا علي بن الجهم يدعو إلى المبادرة بأيام الشباب ، لأنها سوف تنتهي ، وتنفد معها طرق الغواية، إذ يقول:

فبادِرْ بأيامِ الشَّبَابِ فَإِنَّهَا
تَفَوْتُ وَتَغْنَى والغواية تتجلى^(١٩)

وكان هارون بن علي المنجم ينصح بارتكاب المعاصي، والتمتع بالنساء في أيام الصبا ، لأن المجتمع برأيه، وربما الدين أيضاً - حسب اعتقاده - سيعذران مرتكب هذه الآثام بسبب شبابه ، وقد فاته أن الذنب ذنبٌ ، سواء أكان في الشباب ، أم في المشيب:

فانعمَ بهنَّ ورزئُ سنك
مادمتَ ○○○ في ورقي الصبا
فانعمَ بأيام الصبا
أعطِ الشَّبابِ نصيبه

في الشَّبية غيرُ كابي
وغصونه الخضر الرطاب
واخلع عذارك في التصابي
مادمتَ تُعذِرُ بالشَّباب^(٢٠)

وهكذا تتكرر الدعوات لدى كثير من شعراء العصر العباسي ، وكانت الحكمة منها ، اغتنام أيام الشباب ، والافادة منها ، على غرار قول الصنوبري الذي يدعو فيه إلى ممارسة المجون في الشباب ، ويؤكد أن قوله هو الصواب :

بادِرْ إلى القصفِ واغتنمه
وانظر ببستاننا وصننه
ففي الذي قاتته صواب

مادام عنك الزمان راضي
عن كلِّ وغدٍ وكلِّ فاضٍ
ياحسن ذا القولِ وهو ماضٍ^(٢١)

ولم يبتعد السري الرفاء في رؤيته عن الشعراء الذين سبقوه فيما يتعلق بهذا الموضوع ، فهو الآخر يرى أن الشباب هو زينة الدنيا ، لذا فعلى المرء أن يستثمره على أفضل وجه ، وأن يتمتع بلذاته ، ولاسيما في شرب الخمر:

هي الدنيا وزينتها الشَّباب
فلا تذهب بك الأطماع واذهب
نزلنا منزلاً من سرِّ مراً
حديث كابتِ سامِ الروضِ جادت
وأقداحُ تفوتُ المسك طيباً
إذا ما الرِّاحُ والأترجُ لاحا

وفي اللذاتِ بعدهما ارتياب
كؤوسك لي فقد حان الذهاب
به اللذاتِ صافية عذاب
عليه بفيضِ أدمعها السحاب
ويكمدُ عندها الذهبُ المذاب
لِعَيْنِكَ قلتَ : أيُّهما الشَّرابُ؟^(٢٢)

والسري الرفاء لم يذهب هذا المذهب في شعره ، إلا بحجة أن الشباب له مدَّة، وتتقضي أيامه، وبانقضائه ينتهي السرور حسب قوله، لذا فعلى المرء أن يتمتع بشرب الخمر قبل فوات الأوان ، وذلك كله واضح من خلال قوله:

ألا فاسقني الخمرَ مشمولة
موردة اللون مسكية
كأن العقيق بكاساتها

تصبُّ على الليل صبْحاً مُنيرا
تُعزِّزُ الذليلَ وتغني الفقيرا
تفيضُ السقاةُ عليه العبيرا

صَرِيحُ النَّوَابِ مَنْ لَمْ يَكُنْ
فَكُنْ مُوقِنًا بِذَهَابِ الصَّبَا
فَإِنَّ الشَّبَابَ لَهُ مُدَّةٌ
جَلِيدًا عَلَى الْهَوْلِ مِنْهَا صَبُورًا
وَمُغْتَنِمًا مِنْهُ دَهْرًا قَصِيرًا
تَقْضَى فَتَذْهَبُ عَنْكَ السُّرُورَا^(٢٣)

وبذلك أصبح للشعراء العباسيين منفذ جديد، استطاعوا من خلاله تسويغ حكمهم السلبية التي بثوها بوساطة قصائدهم، ومن قبلها أفعالهم المشينة التي لا يتقبلها الدين ، ولا العرف ، فهم يتحججون بنهاية العمر، وفناء الدنيا ، على شاكلة قول مطيع بن إياس :

لَا يَلْهِينَاكَ غَيْرُ مَنَا
تَهْوَى فَإِنَّ الْعُمْرَ فَإِنَّ^(٢٤)

ويطرق الفكرة ذاتها الشاعر ديك الجن، وذلك حين يدعو إلى التمتع باللذة واللذة، فيرى أن الأيام تسير بسرعة كبيرة ، فتنتقل الانسان من الشباب إلى المشيب ، فلا يُبقي له سوى الأحلام والأمانى ، وذلك في قوله:
تَمَتَّعْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ فَإِنَّ
وَلَا تَنْظِرَنَّ الْيَوْمَ لَهْوًا إِلَى غَدٍ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الدَّهْرَ يُسْرِعُ بِالْفَتَى
وَأَمَّا الَّذِي يَمْضِي فَأَحْلَامٌ نَائِمٍ
وَمِنَ لَعْدٍ مِنْ حَادِثٍ بِأَمَانٍ
وَيَنْقَلِبُ حَالِينَ يَخْتَلِفَانِ
وَأَمَّا الَّذِي يَبْقَى لَهُ فَأَمَانِي^(٢٥)

وبناءً على هذه الحجة الهشة ، أسس كثيرٌ من الشعراء العباسيين حكمهم السلبية، التي دعوا فيها إلى التمتع بملذات الحياة المختلفة ، فمنهم من لا يتمتع بطيب الحياة إلا بشرب الخمرة ، والجلوس بين الندمان:

إِنَّمَا الْعَيْشُ وَالْحَيَاةُ لِمَنْ أَصْبَحَ
بَيْنَ الْمُدَامِ وَالنَّدْمَانِ^(٢٦)

ومنهم من يرى المتعة ويجدها في شرب الخمرة، وسماع الأغاني من القيان:
وَسَمَاعُ مَنْ قِيَانٍ^(٢٧)

وكان بعضهم يرى أن الحياة الطيبة تكمن في الانهماك في الملذات التي كثيراً ما تكون في عصر الشباب ، الذي اذا ما انقضى ، ذهبت الأيام الطيبة:
فَاخْلَعْ عِذَارَكَ وَاشْرَبْ قَهْوَةَ مُرْجَبَتْ
وَدَعَتْ طَيْبَ الشَّبَابِ الْغَضَّ لَمْ يَطْبُ^(٢٨)

ووصلت المبالغة عند بعض الشعراء الى أعلى مستوياتها ، وذلك ما نجده واضحاً لدى الشاعر ابن الهبارية الذي ذكر في حكمته الشاذة ما يشعره بالحياة الجميلة من وجهة نظره ، فرأى أن العيش لا يطيب ولا يُستند إلا بالخلاعة والهوى ، وشرب الخمرة، ووصل العشيق ، فيقول في ذلك:
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي الْخَلَاعَةِ وَالْهَوَى
وَشَرِبَ طَلًا صَافٍ وَوَصَلَ عَشِيقٍ^(٢٩)

وعلى هذا النحو ، كان الشعراء العباسيون يطرحون حكمهم السلبية الواهية، بالحجج الضعيفة ، التي لا تُنفع إلا لضعيف النفس والمروءة ، ولا تؤثر إلا فيمن طابق هواه هوى أولئك الشعراء^(٣٠).

ولم يقتصر الأمر على ذلك وحسب ، وإنما تجاوز بعض الشعراء العباسيين في بنّهم لحكمهم المريضة، وذلك حين بالغوا في الحديث عن شهواتهم الحيوانية من ناحية، وحين مسوا في أحاديثهم تلك أموراً كان الأجدر

بهم تجنبها من ناحية ثانية، فوصلت تلك المبالغة لديهم إلى الدرجة التي تبعث في متلقي قصائدهم العجب والاستفهام، قائلاً : هل كان أولئك الشعراء بكامل وعيهم حين أنشدوا مثل هذا الشعر؟

ومن الأمثلة التي يمكن الاستدلال بها على مبالغة الشعراء في ارتكاب المآثم ، أو الدعوة لارتكابها ،

قول البحرّي:

فاخلع عذارك في الهوى وادفع مَهَمَّاتِ الدُّهُورِ
واعلم بأنك راجعٌ يوماً إلى ربِّ غفورِ
يا اخوتي دَامِ السُّرُورُ رُكْمٌ، وَهُمُتُمْ لِلسُّرُورِ^(٣١)

فالشاعر - في نصّه هذا - مصرّ على ارتكاب المعاصي، فيفعلها مع قناعته بخطأ ما يفعل ، ومع ذلك يرى بأنه سيعود إلى الغفور الرحيم، وقد تناسى أنّ الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب لمن يرتكبها بجهالة، لا عن قصد وعلم ، فضلاً عن جرأة البحرّي في طريقة طرح الفكرة، وذلك مما يؤكد تمادي بعض الشعراء في اتباع نهج مخالف للدين والدنيا على حدّ سواء.

ويصل التمادي ببعضهم إلى أكثر من ذلك ، فيدعو إلى شرب الخمر ، مع معرفته بتحريمها بالنص القاطع والثابت ، وليس ذلك فحسب ، بل يعلن الشاعر - في مفارقة عجيبة - أنّ الصبر عن شرب الخمر حرام ، وذلك ما نجده عند ابن وكيع التنيسي في قوله:

اشربْ فقد طابتِ المُدَامُ واقترَّ عن ثغره العَمَامُ
من قهوةٍ حرّمتْ علينا والصبرُ عن مثلها حَرَامُ^(٣٢)

ويتمادي الشاعر نفسه إلى درجة غير طبيعية ، عندما يعلن عن عدم وجود أي شيء في الحياة يتميز بالحلوة سوى الأشياء المحرمة، فهو لا يستلذُّ إلا بما حُرِّمَ، وكأنه - بهذا الطرح - يتحدّى الدين كله، ويتمرد عليه، وكانت الخمر من ضمن تلك الأمور المحرمة التي يتمتع بها، فيدعو إلى شربها في قوله:

فَقُمْ فاسقِي ما حرّموه فما أرى من العيشِ حُلُواً غيرَ ما قيلَ حُرماً^(٣٣)

وربما كان بعض الشعراء قد قالوا مثل هذا الكلام وغيره، وهم في حال النشوة، إلا ان ذلك لا يعني اعطاء العذر لهم، أو مسامحتهم ، ولاسيما أنهم كانوا ينشدون الشعر في زمن كان للشعر فيه مستمعون ، وفي الوقت نفسه، كان له تأثير في الآخرين ، ولاسيما في الشباب غير الواعي من الناحية الدينية ، والذين كثيراً ما يعجبهم مثل هذه الأقوال ، فيحذون حذو أصحابها في التهنك والمجون .

ومما يُثير العجب حقاً ، هو أنّ بعض الشعراء كانوا يتضجرون من مجيء شهر رمضان، هذا الشهر الكريم ، الذي يحاول فيه المسلمون تجنّب الذنوب قدر ما يستطيعون ، في الوقت الذي نجد فيه بعض الشعراء ينصحون بشرب الخمر قبل قدومه ، ولاسيما في شهر شعبان، لأن مجيء رمضان - حسب زعمهم - سيحرمهم من تناولها ، وهذا ما نجده عند البحرّي الذي يقول:

فَتَرَوْ مِنْ شَعْبَانَ إِنَّ وِراءَهُ شَهراً يُمانِعنا الرِّحيقِ السَّلَسَلا^(٣٤)

وفي الوقت الذي يدعو فيه البحرّي إلى استغلال شهر شعبان في الاكثار من شرب الخمر، خوفاً من قدوم رمضان، نجد شاعراً آخر يدعو نفسه إلى ممارسة اللهو بعد انتهاء هذا الشهر، لأنه - على حدّ قوله - قد أدّى ما عليه فيه من صوم وقراءة للقرآن، لذا فعلية الآن التمتع بما يشتهي من ملذات بعد انتهاء رمضان ، وكأنّ الالتزام بالدين وما يتبعه مقتصر على هذا الشهر فقط، وهذا ما نجده عند كشاجم في قوله:

مضى رَمَضانُ قد أدبَتْ فيه حَقُوقَ الألهِ قرآناً وصَوُماً

وَلَا تَسْمَعُ لِمَنْ يَلْحَاكَ لُومًا
وَعَدْلَ رِيَاسَةٍ يَوْمًا وَيَوْمًا
وَلَا تَذْهَبُ بِنِصْفِ الْغُمْرِ نَوْمًا^(٣٥)

وَجَاءَ الْفِطْرُ فَالَهُ الْآنَ فِيهِ
وَعَدْلَ قِسْمَةِ الْأَيَّامِ قَصْفًا
وَلَيْلِكَ شَطْرُ غُمْرِكَ فَاغْتِيْمَهُ

وبذلك تبين لنا كيف أن بعض الشعراء كان يصل بهم التمادي إلى إعلان ضجرهم وبأسهم من قدوم شهر رمضان، شهر الطاعة والغفران ، بسبب أنهم لا يتمكنون فيه من ممارسة مجونهم وتهتكهم ، لذا رأيناهم يُسارعون في الاكثار من ذلك المجون بأنواعه المختلفة ، قبل قدوم هذا الشهر، وبعد انتهائه ، للتعويض عما قد يفوتهم فيه ، أو ما قد فاتهم بالفعل ، وذلك كله مما يدعو المتلقي الملتزم أو المؤمن الحقيقي إلى الرغبة عن مثل أولئك الشعراء، وعن كل مَنْ يسير في طرقهم الوعرة، التي لاتؤدي إلا إلى نهاية مظلمة، وملبئة بالعواقب الوخيمة في الدنيا والآخرة.

ولم يكتفِ كثير من الشعراء العباسيين بهذا القدر، وإنما راحوا ينصحون - في جزء غير محدود من حكمهم السلبية - بعدم الاستماع إلى الكلام الذي يطلقه عليهم بعض الناس، وأعني به الكلام الذي يحاول فيه أصحابه اعادتهم إلى طريق الرشد والهداية ، فرفضوا حتى ذلك النصح ، علماً أن تلك الأقوال التي كانت تصدر عن بعض المؤمنين ، كانوا يحاولون من خلالها السير وفق قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
لذا نجد كثيراً من الشعراء لا يعيرون أي اهتمام لمثل تلك الأقوال التي تلومهم ، بل ويدعون الآخرين أيضاً إلى عدم الاستماع اليها ، فهذا أبو تمام يقول في هذا المعنى:

يَقُولُهُ فِيكَ قَوْمٌ^(٣٦)

لَا تُصَلِّحِينَ لِقَبِيحٍ

أما ابراهيم بن العباس الصولي ، فانه يعدّ من لا يستمع إلى لوم اللائمين في شرب الخمرة، من الناس الذين يتمتعون بالحياة اللذيذة، وذلك لعدم تأثير أقوال الآخرين فيه ، وذلك حين قال:
وَأَعَصِ مَنْ لَأَمَّاكَ فِي الرَّاحِ عَيْشًا لَذِيذًا^(٣٧)

في الوقت الذي كان فيه ابن وكيع التنيسي لا يكتفي بتلك النصيحة فحسب، وإنما يدعو إلى الأخذ بأقوال الطرف المعاكس لذلك ، أي الأشخاص الذين يدعون إلى طريق الضلالة والغواية ، وبهذا تكون حكمة هذا الشاعر مبنية على جانبين ، الأول: عدم الأخذ بأقوال اللائمين على أفعالهم المنكرة ، أما الثاني : فالأخذ بأقوال المجان من أمثاله في قوله هذا :

وَإِذَا دَعَاكَ أَخُو الْغَوَايَةِ
فَاسْتَمِعْ^(٣٨)

لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ الرَّشِيدِ كَلَامَهُ

وبهذا نالت حكمة عدم الاستماع لأقوال الآخرين حيزاً غير محدود من قصائد الشعراء العباسيين الذين كانوا يرتكبون المآثم، ويدعون غيرهم لارتكابها^(٣٩).

ووصل الأمر ببعض الشعراء إلى السخرية من الملتزمين بالاخلاق الحميدة، وبمبادئ الدين الاسلامي؛ وذلك لأنهم ربما كانوا يجدون فيهم عائقاً كبيراً يشعرهم بذنوبهم، لذا حاولوا النيل منهم ، والتقليل من شأنهم، ومن شأن ما يلتزمون به في حياتهم الدنيا، فابن الرومي مثلاً ، يسخر ممن يروم إصلاح الزمان، ويدعي بأن محاولاته تلك باءت بالفشل ؛ لأنه لم يستطع تحقيق ما كان يرومه، فيقول:

قَدْ رَامَ إِصْلَاحَ الزَّمَانِ، فَمَا صَلَّحَ^(٤٠)

وَدَعِ الزَّمَانَ، فَكَمْ نَصِيحٍ حَازِمٍ

وتتصاعد السخرية عند السَّرِيِّ الرَّفَاءِ كثيراً، عندما يتجرأ في طرح أمور لا يمكن أن نتخيل أحداً باستطاعته الحديث عنها بمثل حديث الشاعر، فهو يسخر ممن يخشى النار ، ويلتزم في حياته طمعاً ورجية في دخول الجنة التي وعدنا بها الله سبحانه وتعالى في الآخرة، ويرى بأن مَنْ يفكر هذا التفكير، ما هو إلا تاركٌ لمتع الحياة، لذا فهو ينصح الآخرين بعدم تقليده فيما يذهب إليه، وأن يمارس ملذاته ويستمتع بها كما يشاء ، وذلك في قوله:

دُنُوْا الْمُدَامَةَ يُذْنِي السُّرُورَا
فَقَدْ نَشَرَ الصُّبْحِ أَعْلَامَهُ
وَحَانَ لكَاسَاتِهَا أَنْ تَدُورَا
وَتَرْكِبُهُمُ الْعَيْشَ غَضًّا نَضِيرَا
فَطَائِفَةٌ تَرْتَجِي جَنَّةَ الْـ
وَعَلَّهُمْ تَارِكٌ حَظُّهُ
مِنَ الْعَيْشِ فَانْعَمْ بِهِ مُسْتَعِيرَا^(٤١)

ولذلك يعتقد بعض الشعراء بأن العيش لا يطيب لأصحاب الورع والتقوى على حدِّ زعمهم ، فينصحون بترك الزهد في الحياة ، والانغماس بالملذات:

وَدَعْ التَّزْهَدَ وَالتَّجَمُّلَ لِلوَرَى
فَالْعَيْشُ لَيْسَ يَطِيبُ لِلْمُتَوَرِّعِ^(٤٢)

وبما أنّ الشعراء هنا كانوا يمارسون دور الموجهين للآخرين ، فقد كثرت في قصائدهم التي بنُّوا فيها حكمهم السلبية ؛ أفعال الأمر كثرة تجعلنا نقول : إننا لانكاد نجد نصّاً إلا ويحتوي على فعل أمرٍ مع استثناءات نادرة، والنصوص التي تمثلنا بها فيما مضى، دليل على صدق ما نذهب إليه.

وقد يكون الأمر موجهاً إلى شخص واحد بعينه - مع عدم اغفالنا أنّ الأمر هنا قد يأتي على سبيل التجريد (أي حين يقصد الشاعر به نفسه ، ويوجه الحديث لشخصه) - ومن الأمثلة على توجيه الأمر لشخص واحد فقط، قول مطيع بن إياس:

اخْلَعْ عِذَارَكَ فِي الْهُوَى
وَاصْبِرْ الْقَبِيحَ مُجَاهِرَا
فَالْعَيْشُ فِي وَصْلِ الْقِيَانِ^(٤٣)

فهنا اجتمعت ثلاثة أفعال أمرٍ في بيتين فقط، ومن الأمثلة الأخر أيضاً ، قول أبي نواس مطالباً بالمجاهرة بارتكاب الأفعال المنكرة ، وعدم سترها:

فِيْحِ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى، وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى
فَلَا خَيْرَ فِي الذُّدَاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ^(٤٤)

وبالمناسبة فإن أبا نواس معروف بعدم ستر مجونه، ولذلك كان كثيراً ما يتعرض للحبس في عهد الخليفة هارون الرشيد^(٤٥)، فهو يعدُّ من الشعراء الذين أساءوا كثيراً في العصر العباسي، وقد سُئِلَ أحدهم قديماً: مَنْ شَرُّ النَّاسِ؟ فقال : مَنْ لايبالي أن يراه النَّاسُ مسيئاً^(٤٦)، وهذا الوصف - حتماً - ينطبق على أبي نواس.

ومن الملاحظ أن أفعال الأمر في هذه النصوص لاتأتي مفردة، وإنما تتعدد على مستوى النص الواحد، ومن الأمثلة الأخر على الاكثار منها ، قول ابن الرومي الذي أكثر فيه من أفعال الأمر ، إلى درجة وصلت إلى ستة أفعال في أربعة أبيات:

خَلِّ الزَّمَانَ إِذَا تَقَاعَسَ أَوْ نَجَحَ
وَاحْفَظْ فَوَادِكَ إِنْ شَرِيتَ ثَلَاثَةَ
وَاشْكُ الْهَمُومَ إِلَى الْمُدَامَةِ وَالْقَدَحِ
وَاحْذِرْ عَلَيْهِ أَنْ يَطِيرَ مِنَ الْفَرَحِ
هَذَا دَوَاءٌ لِلْهُمُومِ مُجَرَّبٌ
فَاسْمِعْ نَصِيحَةَ حَازِمٍ لَكَ قَدْ نَصَحَ

ودع الزمان ، فكم نصيح حازم

قد رام إصلاح الزمان، فما صلح^(٤٧)

اذن، أكثر الشعراء العباسيون من ورود أفعال الأمر في قصائدهم التي روجوا فيها لبضاعتهم الفاسدة، وردائلهم السيئة على شكل حكم ، وهذا أمرٌ اعتيادي في مثل هذا الطرح، لأنَّ الشاعر هنا - وكما ذكرت سابقاً - يودّي دور الموجه، فلا بد له من الإكثار من أفعال الأمر في مثل هذا الشعر^(٤٨).

وقد يأتي الشعراء بأفعال الأمر ، ويريدون به المثني، لاشخصاً واحداً فحسب، وذلك في مثل قول ابن

الهبارية:

خذا فرص اللذات ما سمحت بها

صروف الليالي فهي بيض أنوق^(٤٩)

وتأتي أفعال الأمر أيضاً لمخاطبة الجماعة ،كقول ابن المعتز الذي جاء فيه بعدد غير قليل من أفعال

الأمر التي خاطب بها جماعة من الناس:

سببت يوم المهرجان

مهرجوا في السبت إن السن

عنت صفو الدنان

وخذوها من عقار

واقصدوا قصد المثاني^(٥٠)

واستخصوا كل عود

ففي هذا النص وردت أربعة أفعال أمرٍ ، أريد بها الجماعة ، لاشخصاً واحداً، وورد - كذلك - فعل الأمر

مرةً واحدة، وأريد به الجماعة أيضاً في قول السلمي داعياً وناصحاً بشرب الخمرة:

م فإتما الدنيا غرور^(٥١)

هيو إلى شرب المدا

وقد تأتي أفعال الأمر - في بعض الأحيان - على التوالي، كنوع من المبالغة من لدن بعض الشعراء ،

لتأكيد دعواتهم ، واعطائها مصداقية لضمأن تأثيرها في الآخرين، ومن ذلك قول أحمد بن أبي طاهر طيفور، الذي أورد فيه فعلي الأمر (اصطبح واغتبِق) على التوالي ، في مطلع البيت الأخير من مقطوعته التي يحضُّ فيها على شرب الخمرة:

ن على الورد في خدود الغواني^(٥٢)

فاصطبخ واغتبِق بورديّة اللو

وكذلك ورد فعلاً الأمر (قم وانتصف) بشكل متوالٍ في بيت للسريّ الرّفاء، فضلاً عن ورود فعل أمرٍ

آخر في بداية عجز البيت نفسه، وذلك في قوله:

واجمّع بكأسك شملّ اللّهُو والطرب^(٥٣)

قم فانتصف من صروفِ الدّهر والنّوب

وفي هذا التركيز - من لدن بعض الشعراء العباسيين - على أفعال الأمر^(٥٤)، دلالة أكيدة على عزم

أولئك الشعراء على تحقيق ما كانوا يطمحون اليه من انحراف المجتمع عن جادة الصواب ، والعدول إلى طريق الخطأ.

وهناك حالة نادرة توالى أفعال الأمر فيها بشكل يؤكد اصرار صاحبها على بلوغ هدفه، وتحقيق دعوته

في الاكثار من شرب الخمرة، وذلك في قول ابن المعتز الذي أورد فيه ثلاثة أفعال أمر متواليّة ، كانت كلها تدعو إلى ما يتمناه الشاعر:

وفي كلّ بستانٍ وبين الحدائق^(٥٥)

فقم واغتنم واشرب على كلّ روضة

ولم يمارس الشعراء العباسيون في حكمهم السلبية هذه دور الأمر فقط، وإنما مارسوا - كذلك - دور

الناهي في بعض قصائدهم التي اشتملت على بثّ حكمهم الرديئة ، ويأتي اسلوب النهي - بالضرورة - بأداة

النهى (لا) مقترنة بالفعل المضارع ، وتأتي هذه الصيغة في أكثر الأحيان لمخاطبة المفرد ، كقول بشار بن برد ينهي نفسه، وربما غيره أيضاً ، من اليأس فيما يتعلق بمواصلة النساء ، قائلاً:
لَا يُؤَسِّتُكَ مِنْ مُخَدَّرَةٍ
قَوْلٌ تَغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا^(٥٦)

وكقول ديك الجن ناهياً عن ترك اللهو إلى يوم جديد ، لأنَّ المستقبل غير مضمون :
وَلَا تَنْظُرَنَّ الْيَوْمَ لَهْوًا إِلَى غَدٍ
وَمَنْ لَغِدٍ مِنْ حَادِثٍ بِأَمَانٍ^(٥٧)

ومنه - كذلك - قول كشاجم ، الذي يدعو فيه إلى عدم اضاءة نصف العمر في النوم:
وَلَيْلُكَ شَطْرُ غُمْرِكَ فَاعْتَنِمَهُ
وَلَا تَذْهَبِ بِنِصْفِ الْعُمْرِ نَوْمًا^(٥٨)

واسلوب النهي لا يختلف في دلالاته عن اسلوب الأمر ، لذا فقد تطرَّق اليه الشعراء العباسيون كثيراً^(٥٩)، للسبب نفسه الذي تطرقوا من أجله لاسلوب الأمر ، أي ممارسة دور القائد للمجتمع ، محاولين عدوله عن الطريق الصائب.

وفي بعض الأحيان يأتي اسلوب النهي لمخاطبة المثني ، يتحدث من خلاله الشاعر إلى شخصين محاولاً منعهما عن عدله على أفعاله السيئة في زمن الصِّبا ، فضلاً عن تحذيرهما من الزمن ؛ لأنه غير مضمون في صلحه مع الآخرين ، وذلك ما نجده عند ابن الهبارية في قوله:

وَلَا تَغْذِلَانِي فِي الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا
فَلَوْمِي عَلَيَّ إِذْهَا بِهَا لِعَقُوقِي

[.....]
وَلَاتَأْمَنَّا سَلْمَ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ
صَدِيقٌ لِمَا صَافَاهُ غَيْرُ صَدِيقٍ^(٦٠)

وبانتهاء الكلام على اسلوبَي الأمر والنهي ، ينتهي حديثنا عن أبرز ما طرّقه الشعراء العباسيون من الحكم السلبية في قصائدهم ، والتي دعوا فيها المجتمع - عن قصد، أو عن غير قصد- إلى المجون والانحلال والابتعاد عن كلّ ما هو رائع وجميل، ويحفظ قيمة الانسان وحياءه ، ولا أريد ان أظلم أولئك الشعراء ببحثي هذا ، فبعضهم كان معروفاً بتأدية الفروض الدينية المعروفة ، ولكنهم جاءوا في قصائدهم بأشياء غير محبّذة ، كان الأجدريهم عدم ذكرها ، لما لها من أثر سيئ في نفوس الكثيرين ، سواء في عصرهم أو في العصور اللاحقة ، وليس من شأنَي الحكم عليهم ، فحكمهم عند الله سبحانه وتعالى ، لذا فليس لي شأن إلا برصد هذه الظاهرة في شعر هذا العصر، والحديث عنها حديثاً مرّ ذكره ، وأرجو أن أكون قد وقّفت فيه.

هوامش البحث

- ١- ديوانه / ١٤٤ .
- ٢- أحمد بن أبي فنن / ١٤٧ .
- ٣- شعره ٨٣/٢ .
- ٤- م.ن ٢٥٣/٢ .
- ٥- ديوانه ٣٦٩/١ .
- ٦- ينظر: ديوان أبي دلامة الأسدي / ٣٩ ، ومطيع بن إياس وما تبقى من شعره / ٧٦ ، والعطوي / ٣٧ ، وديوان البحترى ١٦٥٢/٣ ، وشعر ابن المعتز ١٢ / ٢ ، ٦٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٨ ، وديوان السريّ الرّقاء / ١

- ٣٥٠ ، ٣٥١-٣٥٢ ، ١٧٧ / ٢ ، وشعر السلامي / ٦٥ ، وابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر /
٩١ ، ٩٣ ، وديوان الثعالبي / ٣٥ ، وشعر ابن الهبارية / ١٥٨-١٥٩ ، وديوان اسامة بن منقذ / ١٥٤ .
- ٧- ديوانه / ٣٩ .
- ٨- ديوانه / ٢ / ٥٧٠ .
- ٩- شعره / ٢ / ١٢ .
- ١٠- ديوانه / ٣٥ ، القماري : جمع قمري ، وهو ضرب من الحمام ، التدارج : جمع تدرج ، وهو طائر أرقش . والمعنى ان نور الخمر كفيلا أن يكسو القماري لوناً يجعلها تبدو مرقشة كالتدارج .
- ١١- ديوانه / ١٥٤ .
- ١٢- تاريخ الأدب العربي / ٣٧٣ .
- ١٣- ديوانه / ٢ / ٧٢ ، التقدير : والحصان الصعب يمكن بعد ما رمح ، أي يُمكنك من رؤضه بعد أن رَمَحَ ودَفَعَ برجله .
- ١٤- شعره / ٢٥٨ .
- ١٥- ديوان ديك الجن / ١١٨ ، عان : أسير .
- ١٦- شعر ابن المعتز ٣ / ٣٣٤ ، وينظر مثل ذلك : أحمد بن أبي فنن / ١٤٧ ، وديوان كشاجم / ٣٦٩ .
- ١٧- أحمد بن أبي طاهر طيفور حياته ، شعره ، رسائله / ٣٢٥ .
- ١٨- ديوانه / ٤ / ٢٥٨٢ ، وينظر مثل ذلك : مطيع بن إياس وما تبقى من شعره / ٧٦ ، وشعر ابن المعتز / ٢ / ٢٥٨ .
- ١٩- ديوانه / ١٨٩ .
- ٢٠- شعره / ٢٥٨ .
- ٢١- ديوانه / ٤٨٢ .
- ٢٢- ديوانه / ١ / ٣٥٢-٣٥١ ، يكمد : يستقر .
- ٢٣- م.ن / ٢ / ١٧٧ ، تُفِيضُ : تُفْرَغُ .
- ٢٤- مطيع بن إياس وما تبقى من شعره / ٧٦ .
- ٢٥- ديوانه / ١١٨-١١٩ ، وينظر مثل ذلك : شعر السلامي / ٦٥ .
- ٢٦- أحمد بن أبي طاهر طيفور حياته ، شعره ، رسائله / ٣٢٥ .
- ٢٧- شعر ابن المعتز / ٢ / ٢٥٨ .
- ٢٨- ديوان السريِّ الرَّفَاء / ١ / ٣٥١ ، الفلج : ما بين الثيايا ، الشنب : حدّة في الأسنان .
- ٢٩- شعره / ١٥٨ ، الطلاء : الطلاء ، قَصْرَةُ للضرورة ، وهو ما طبخ من عصير العنب .
- ٣٠- ينظر : مطيع بن إياس وما تبقى من شعره / ٧٦ ، وابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٩٣ .
- ٣١- ديوانه / ٤ / ٢٥٨٢ .
- ٣٢- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٩١ ، افترَّ : ابتسم .
- ٣٣- م.ن / ٩٣ .
- ٣٤- ديوانه / ٣ / ١٦٥٢ ، الرحيق : الخمر .
- ٣٥- ديوانه / ٣٦٩ .
- ٣٦- ديوانه / ٤ / ٢٦٩ .

- ٣٧- ديوانه / ١٤٤ .
- ٣٨- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٨١، الرشيد: المهتدي والمستقيم في طريق الحق ، والغواية : الضلال .
- ٣٩- ينظر : ديوان علي بن الجهم / ١٨٩-١٩٠، وديوان كشاجم / ٣٦٩ .
- ٤٠- ديوانه / ٥٧٠/٢ .
- ٤١- ديوانه / ١٧٧/٢ .
- ٤٢- ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٨١ .
- ٤٣- مطيع بن إياس وما تبقى من شعره / ٧٦ .
- ٤٤- ديوانه / ١٤١ .
- ٤٥- ينظر : الموشح / ٣٤٦-٣٤٩ .
- ٤٦- ينظر : البيان والتبيين / ٣ / ١٦٥ .
- ٤٧- ديوانه / ٥٧٠ / ٢ .
- ٤٨- ينظر مثلاً : ديوان أبي دلالة الأسدي / ٣٩، وديوان بشار بن برد / ٧٢/٢، وديوان ديك الجن / ١١٨، وديوان ابراهيم بن العباس الصولي / ١٤٤، وديوان علي بن الجهم / ١٨٩-١٩٠، وأحمد بن أبي فنن / ١٤٧، وديوان البحري / ٣ / ١٦٥٢، ٤ / ٢٥٨٢، وشعر هارون بن علي المنجم / ٢٥٨، وشعر ابن المعتز / ٢ / ١٢، ٦٥، ٨٣، ٢٣٦، وديوان الصنوبري / ٤٨٢، وديوان كشاجم / ٣٦٩، وديوان السري الرفاء / ١ / ٣٥١، ٣٦٩، ١٧٧ / ٢، وابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٨١، ٩١، وديوان الثعالبي / ٣٥، وديوان أسامة بن منقذ / ١٥٤ .
- ٤٩- شعره / ١٥٨، الأنوق: العقاب أو الرخمة . وفي المثل : ((أعرُّ من بيض الأنوق)) لأنها تحرزه فلا يكاد يظفر به أحد ، لأنَّ أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة ، وهي تحمق مع ذلك .
- ٥٠- شعره / ٢ / ٢٥٨ .
- ٥١- شعره / ٦٥ .
- ٥٢- أحمد بن أبي طاهر طيفور حياته ، شعره ، رسائله / ٣٢٥ .
- ٥٣- ديوانه / ١ / ٣٥٠ .
- ٥٤- ينظر مثلاً: ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٩٣ .
- ٥٥- شعره / ٣ / ٣٣٤ .
- ٥٦- ديوانه / ٧٢/٢ .
- ٥٧- ديوانه / ١١٨ .
- ٥٨- ديوانه / ٣٦٩ .
- ٥٩- ينظر مثلاً : مطيع بن إياس وما تبقى من شعره / ٧٦، وديوان أبي تمام / ٤ / ٢٦٩، وشعر ابن المعتز / ٨٣/٢، وابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر / ٨١ .
- ٦٠- شعره / ١٥٨-١٥٩ .

المصادر والمراجع

- ابن وكيع النَّيَّسِي شاعر الزهر والخمر (ت ٣٩٣هـ) ، جمع شعره وحققه : الدكتور حسين نصّار، الناشر : مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م.
- أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٢٨٠هـ) ، حياته ، شعره ، رسائله، دراسة وتحقيق: هلال ناجي ، ضمن : أربعة شعراء عباسيون ، الدكتور نوري حمودي القيسي ، هلال ناجي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٩٤.
- أحمد بن أبي فنن (ت ٢٧٨ هـ) ، ضمن: شعراء عباسيون ، الدكتور يونس أحمد السامرائي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة الحديثة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، مطبعة المدني ، ط٥ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المطبعة البولسية ، بيروت - لبنان ، ط٦ ، د.ت.
- ديوان ابراهيم بن العباس الصولي (ت ٢٤٧هـ) ، صنعة : ابن أخيه ابي بكر محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي ، نسخه وصحّحه وخرّجه وعارضه: عبد العزيز الميمني، ضمن : الطرائف الأدبية، عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٣٧.
- ديوان ابن الرومي، أبي الحسن علي بن العباس بن جريح (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق: الدكتور حسين نصّار، ج٢ ، طبعة ثالثة منقحة، شارك في تحقيق هذا الجزء: د. سيدة حامد، د. محمد عادل خلف، زينب القوصي، منير المدني، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ديوان أبي تمام (ت ٢٣١هـ)، بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥.
- ديوان أبي دلامة الأسدي(ت ١٦١هـ) ، إعداد : الدكتور رشدي علي حسن، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، دار عمار ، عمان - الاردن ، ط١ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
- ديوان أبي نواس(ت ١٩٨هـ) ، برواية الصولي، تحقيق: الدكتور بهجة عبد الغفور الحديثي، ساعدت جامعة بغداد على طبعة، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ديوان أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) ، حقّقه وقدم له : الدكتور أحمد أحمد بدوي ، حامد عبد المجيد ، عالم الكتب ، د.ت.
- ديوان البحثري (ت ٢٨٤هـ) ، عني بتحقيقه والتعليق عليه : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥.
- ديوان بشار بن برد (ت ١٦٧هـ) ، تقديم وشرح وتكميل: محمد الطاهر بن عاشور، د.ط، د.ت.
- ديوان الثعالبي ، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ) ، دراسة وتحقيق : الدكتور محمود عبد الله الجادر ، طبع دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠.
- ديوان ديك الجن(ت ٢٣٥هـ) ، حقّقه وأعدّ تكملته : الدكتور أحمد مطلوب، وعبد الله الجبوري، نشر وتوزيع: دار الثقافة ، بيروت- لبنان ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م [تاريخ المقدمة].
- ديوان السريّ الرّفاء (ت ٣٦٢هـ) ، تحقيق ودراسة: الدكتور حبيب حسين الحسني ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام - الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨١.
- ديوان الصنوبري ، أحمد بن محمد الحسن الضبّي (ت ٣٣٤هـ) ، (من حرف الراء حتى حرف القاف) ، حقّقه : الدكتور إحسان عباس ، نشر وتوزيع :دار الثقافة، بيروت - لبنان ، مطابع غريب- بيروت، ١٩٧٠.
- ديوان علي بن الجهم (ت ٢٤٩ هـ) ، تحقيق : خليل مردم بك، دار صادر - بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٦.

- ديوان كشاجم ، محمود بن الحسين (ت ٣٥٠هـ) ، دراسة وشرح وتحقيق : الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، ط ١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
- شعر ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) ، صنعة : أبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، دراسة وتحقيق : الدكتور يونس أحمد السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة - بغداد ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- شعر ابن الهبارية (ت ٥٠٤هـ) ، جمعه وحقّقه : الدكتور محمد فائز سنكري طرابيشي ، تقديم : الدكتور محمد حمويّة ، طبع في مطابع وزارة الثقافة ، احياء التراث العربي ، دمشق ، ١٩٩٧ .
- شعر السلامي ، أبي الحسن محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي السلامي البغدادي (ت ٣٩٣هـ) ، جمع وتحقيق : صبيح رديف ، مطبعة الايمان - بغداد ، ط ١ ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- شعر هارون بن علي المنجم (ت ٢٨٨هـ) ، الدكتور يونس أحمد السامرائي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج ٢ ، م ٣٧ ، رمضان ١٤٠٦هـ - حزيران ١٩٨٦م .
- العطوي (ت نحو ٢٥٠هـ) ضمن : شعراء بصريون من القرن الثالث الهجري، دراسة ونصوص ، العطوي ، الجاحظ ، الحمودي ، تأليف : محمد جبار المعبيد ، مطبعة الارشاد - بغداد ، ١٩٧٧ .
- مطيع بن إياس وما تبقى من شعره (ت ١٦٩هـ) ، ضمن : شعراء عباسيون ، دراسات ونصوص شعرية ، غوستاف فون غرنباوم ، ترجمها وأعاد تحقيقها : الدكتور محمد يوسف نجم ، راجعها : الدكتور إحسان عباس ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ، مطبعة عيتاني ، ١٩٥٩ .
- الموشح ، مأخذ العلماء على الشعراء في عدّة أنواع من صناعة الشعر ، للمرزباني ، أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت .